تحقيق

رضوان عقيل

برّي عميد رؤساء برلمانات العالم
بائع الأمل طوال ربع قرن وحارس للدستور

نبيه بري، لم يفارق اسمه خشبة المسرح السياسي في لبنان على مدار العقود الاربعة الاخيرة. زاد لمعان نجمه بعد انضمامه الى نادي عمداء رؤساء البرلمانات في العالم ليصبح في مقدمهم بل اولهم. صاحب البصمة والحضور المميز في المؤتمرات والمنتديات في الخارج

في 20 تشرين الاول الجاري يكون قد مر على وجود رئيس مجلس النواب نبيه بري ربع قرن بالتمام والكمال على رأس البرلمان من دون انقطاع. انتخب في 5 دورات على التوالي ليتربع على هذا المنصب من دون منافس له، نتيجة ظروف موضوعية حكمت حركة الرجل ومسيرته في حركة امل وداخل طائفته، الى وقائع محلية واقليمية عدة ساعدته على البقاء في الواجهة السياسية اللبنانية وتصدّرها منذ انتخب رئيسا للحركة عام 1980، وتعيينه من ثم وزير دولة لشؤون الجنوب والاعمار والعدل في حكومة الرئيس رشيد كرامي من 30 نيسان 1984 الى 22 ايلول 1988 في عز اعوام الحرب والاقتتال في البلد.

راود حلم الوصول الى رئاسة المجلس مذ كان طالبا على مقاعد كلية الحقوق في الجامعة اللبنانية عام 1963 عندما حل طليع دورته. لم تستهوه الوظيفة والدخول في عالم القضاء، فاختار المحاماة التي شغف بها. عندما تلقى التهنئة من استاذه الدكتور بطرس ديب الذي ابدى اعجابه به وتميزه، سأله: "ماذا ستفعل"؟ فرد بحماسة: "بدي اشتغل في السياسة لأحل مكان كامل الاسعد".

توقف بطرس ديب بعد مخاطبته ومشى في طريقه: "انت شاب متفوق، بس يا حرام مغرور".

لم يلتق الاثنان الا بعد ثلاثة عقود على هذه الواقعة. بعد ايام على انتخابه رئيسا للمجلس تلقى بري اتصالا من ديب الذي يعيش في باريس وطلب منه موعدا عاجلا. حضر الرجل في اليوم التالي، وهنأ تلميذه على الموقع الذي احتله ووصل اليه. لم ينته اللقاء بينهما عند هذه الحدود. بل اعتذر منه من دون ان يعرف بري السبب.

اجابه ديب: "قلت عنك مغرورا، ونجحت في تحقيق حلمك".

دخل بري الندوة البرلمانية بعد رحلة طويلة له في العملين الطالبي والسياسي. لم يستهوه العمل في سيراليون في حقل الاتجار بالماس، حيث كانت له تجربة قصيرة في هذا الحقل. ولد في هذه الدولة واحب الافارقة والمغتربين اللبنانيين حيث كان والده من رجال الاعمال هناك. لم يلب له نصيحته العمل في حقل التجارة، الا ان الابن الاكبر اختار الغوص في عالم "الماس السياسي". عمل في المحاماة والتحق بقافلة الامام موسى الصدر ليكون في مقدم فريقه ومساعديه. وصل الى رئاسة المجلس من تحت راية حركة امل، ولم يتقبل كثيرون رؤية شخصية حزبية في الرئاسة الثانية وهو على رأس حزب. سرعان ما اثبت جدارته في هذا المنصب واتقانه السريع لعبة ادارة المؤسسة التشريعية التي احتلتها اسماء لامعة في التشريع والعمل البرلماني لعقود خلت كاحمد الاسعد وعادل عسيران وصبري حمادة وكامل الاسعد وحسين الحسيني.

صحيح انه دخل طرفا عند انتخابه. لكن ما ان امسك مطرقة المجلس وقبض على ناصيته، عمل على الوقوف في موقع الحكم مستفيدا من مخزون سياسي وقانوني بغطاء من الحنكة والحكمة، ومن شخصيته الاستثنائية والدينامية التي تعرف فنون التكيف مع الازمات. عمل بتوازن ثبته منذ دورة 1992 والتي كانت تضم في صفوفها نوابا قدامى من دورة 1972 برعوا في حقل التشريع، وكانت لهم تجارب طويلة في هذا المضمار. توافق واختلف معهم مرات ومرات وسط لعبة لم تخل من المشكلات والازمات، لكنه عرف كيف يحافظ على موقعه في ادارة البرلمان، في وقت لم يمر فيه وقت طويل على الانتهاء من دوامة الحرب والاقتتال وتطبيق اتفاق الطائف. كان على تعاون مع نواب كثيرين حتى لو لم يلتق معهم في مواضيع سياسية من امثال الراحلين اوغست باخوس، نصري المعلوف، خاتشيك بابكيان، نسيب لحود، والسابقين كالدكتور بهيج طبارة الذي كان استاذه في الجامعة. يتوقف باصغاء عند مداخلات النائبين بطرس حرب ونقولا فتوش، ويسار النواب الشباب. يبقى النائب السابق جان عبيد احب الشخصيات الى قلبه، ولا يزال يعمل ويحلم بايصاله الى قصر بعبدا. بقيت اعمق صداقاته واصلبها مع صديقه اللدود النائب وليد جنبلاط، فقد اجتازا امتحانات صعبة في محطات عدة في بيروت ودمشق. استمرت علاقاتهما في الود السياسي نفسه على مدار اربعة عقود.

لم يقطع الطريق على موقع نائب رئيس المجلس وتعاون معه ولم يضيق عليه. هذا ما ظهر في اكثر من محطة له مع ايلي الفرزلي سابقا، ومع نائب الرئيس الحالي فريد مكاري. درج على تخصيص الراحل غسان تويني بعناية خاصة، وكان الوحيد من بين النواب يناديه بلقب "الاستاذ" بدلا من كلمة "الزميل" التي يطلقها على النواب جميعا عندما يطلب منهم الكلام في الجلسات التشريعية والمساءلة.

لا يتهاون في ادارة اعمال التشريع الذي يطبعه بالجدية المطلوبة تحت قبة الهيئة العامة. لا تخلو الجلسات التي يترأسها من دون ترك بصمته المحببة حتى باعتراف النواب الذين لا يلتقون معه، بسبب القفشات التي يطلقها ويتناقلها اللبنانيون عن لسان "الاستاذ نبيه" حيث اصبحت له بصمته في مختبر التشريع في ساحة النجمة والتزامه قواعد الدستور



الرئيس نبيه بري عميد رؤساء برلمانات العالم.

والنظام الداخلي في المجلس وتطبيق بنوده. ابلغ مثل على ذلك تصميمه على انتخاب رئيس الجمهورية بالثلثين من موقع انه الحارس الاول للسلطة التشريعية، الساهرة على انتظام المؤسسات والوزارات.

شرّع ابواب المجلس امام هيئات المجتمع المدني ونقابات المهن الحرة، واشرك ممثلين عنها كمستشارين في اللجان النيابية التي استندت بدورها الى هيئة تحديث القوانين التي ضمت في صفوفها نخبة من القضاة والمحامين.

مع رؤساء الحكومات، عشق مداخلات الرئيس الراحل عمر كرامي وقفشاته في المجلس وقد عرفه وزيرا في حكومته. خص الرئيس سليم الحص باحترام ولفتة خاصتين وان لم يلتق معه في الاسلوب وفي بعض السياسات. درج على القول ان ليس له اعداء في السياسة في لبنان، وانه في موقع المنفتح على الجميع. كانت ابرز محطاته مع رؤساء الحكومات مع الرئيس رفيق الحريري حيث اختلف واياه على اكثر من ملف ومشروع في البرلمان، لكنهما حافظا على صداقة

> **قال لاستاذه: "بدي اشتغل بالسياسة لأحل مكان كامل الاسعد"**
>
> **ترك تجارة الالماس وذهب الى السياسة والتحق بالامام موسى الصدر**

لم تنقطع خيوطها الى يوم استشهاد الاخير في شباط 2005، ولا تزال متواصلة الى اليوم مع نجله الرئيس سعد الحريري، وان كانت تنتابها سياسة المد والجزر بين الطرفين. يرجع السبب الى فارق في العمر والتجربة بينهما، من دون اغفال عامل الاوضاع السياسية في البلد.

كان من الملاحظ ان بري سار طوال رحلته البرلمانية وفق حكمة الامام علي "الصبر صبران: صبر على ما تكره، وصبر عما تحب" التي اعتمد على مضمونها في تعاطيه مع مئات من السياسيين والوزراء والنواب والشخصيات التي خبرها، سواء احبهم او كرههم. واظهر انه من اصحاب شعار "عدم قطع شعرة معاوية" مع الاخرين ما عدا الاسرائيلي الذي قاتله حيث نجا من مخططاته اكثر من مرة.

اظهر بري من بداية مشواره النيابي حرصه على تطوير الادارة البرلمانية وفصل السلطات والتعاون في ما بينها، في ظروف كان البلد فيها غير طبيعي نتيجة الانقسامات الطائفية فيه والتدخلات العربية والاقليمية في تفاصيل صغيرة واستحقاقات كبرى في البلد. درج على دراسة المشاريع والقوانين جيدا، والتشدد في تطبيق الرقابة البرلمانية ومساءلة الحكومة والمحاسبة، وتطوير الادارة البرلمانية بحماسة من خلال فتح المجلس على العالم الخارجي في مشهد لم يعهده الرؤساء الذين تعاقبوا على الكرسي الاولى في ساحة النجمة. طلب من ◄

الدوائر المعنية في المجلس عقد بروتوكولات تعاون مع برلمانات عربية واجنبية، واطلق 60 لجنة صداقة برلمانية واتفاقات تعاون وتفاهم مع دول عدة.

اراد ان لا ينحصر عمل المؤسسة التشريعية بمراقبة الحكومة وتطبيق المهمات المطلوبة منها فحسب، بل عمل ايضا لتكون نافذة على التعاون مع الخارج ليجسد اسلوبا جديدا في التعاون تحت عنوان "الديبلوماسية البرلمانية"، سلطت الضوء على الاحتلال الاسرائيلي للجنوب والقرار رقم 425، الى ان تحرر في ايار 2000. حوّل البرلمان منصة للدفاع عن هذه القضية التي رافقته طويلا ولا يزال لرفع الحرمان عنه وتحصين بنيانه وتنمية بلداته. ابدى حرصا كبيرا على دور "اليونيفيل" في الجنوب، لاسيما بعد تعديل مهماتها بعد القرار 1701 الذي صدر على اثر العدوان الاسرائيلي في تموز 2006. حمل لواء الدفاع عن حزب الله وحماية المقاومة وضرورة التنبه والتصدي للاخطار الاسرائيلية. لم يتخل عن مهمة موقع حارس مرمى الدفاع عن الجنوب الذي لم يغب عن طرح قضيته مع زعماء الدول وتسليط الاضواء عليه من جراء الاخطار الاسرائيلية.

فتح ابواب المجلس امام الشباب والطلاب، ولم يشأ تركه حكرا ومساحة للتعبير للنواب وكتلهم فحسب، بل شرعه امام اراء لا تلتقي مع السلطة. وهذا ما تمثل في تجربة "نائب ليوم واحد" الذي عقد بدعوة من النائب الراحل جبران تويني.

اما على صعيد الخارج، فاعطى بري اهتماما كبيرا له وحمل قضايا لبنان والمشاركة في مواضيع صغيرة وكبيرة حتى لو كانت تتناول انتاج زيت الزيتون. فرض حضوره على المسرحين العربي والدولي، واقام صداقات مع نظراء له استثمرها في خدمة بلده وتحصين موقع المغتربين وحضورهم في البلدان التي يعملون فيها. ظهر في محطات وقضايا عدة في موقع وزير الخارجية، ودرجت اكثر من دولة على احاطته بالعناية الكبيرة، وتصميمه على لقاء رؤساء الدول التي يزورها والوقوف عند رأيه في الملفات المطروحة في المنطقة والعالم، فيما تتعاطى معه بلدان عدة عند زيارته لها كأنه رئيس دولة.

1992: يقترع في جلسة انتخابه رئيسا للمجلس للمرة الاولى.



على المنصة.



مطرقة الرئيس.

> اطلق "الديبلوماسية البرلمانية" وحوّل المجلس نافذة على الخارج
>
> منذ انتخب رئيسا للمجلس انتقل من ضِفة الطرف الى ضفة الحَكم

انتخب بري رئيسا للاتحاد البرلماني العربي واتحاد مجالس الدول الاعضاء في منظمة المؤتمر الاسلامي. ظهر في موقع الدينامو في الاتحاد وعمل مرات على تقريب المسافات بين الاعضاء وتدوير الزوايا حيث تعصف الخلافات المفتوحة في ما بينهم. كانت له صولات وجولات مع صديقه اللدود الرئيس السابق للبرلمان المصري احمد فتحي سرور والرئيس الراحل لمجلس الامة الكويتي جاسم الخرافي، وتستمر هذه العلاقة الى اليوم مع خلفه مرزوق الغانم. انخرط في اكثر من مرة في تفكيك "الالغام" المزروعة بين مكونات الاتحاد البرلماني العربي بسبب عدم تقارب الحكومات، ونجح في السير بين نقاط الخلافات العربية والحد منها.

احتل الملف الفلسطيني مساحة من اهتماماته في المحافل البرلمانية الى درجة انه فاجأ اعضاء البرلمان الفلسطيني في اكثر من مرة واطلق مواقف ومبادرات حيال قضيتهم والتصدي لتهويد القدس وبذله الجهود المطلوبة على منع الانقسامات والحد من التشرذم بين منظمة التحرير والفصائل الفلسطينية. ظهر في اكثر من مؤتمر في موقع تحالف غير مرئي مع رئيس المجلس التشريعي الفلسطيني سليم الزعنون.

بعد التدقيق في رحلة بري النيابية، صاحب التجربة المصقولة التي لم تدخل اليأس في قاموسه، ظهر في موقع من يغلب لبنانيته ووطنيته على طائفته، وحرصه على تحقيق الوحدة الوطنية وان لم يتخل ولو لدقيقة واحدة عن حمل لواء الدفاع عنها وتثبيت حضورها في مؤسسات الدولة، على عكس ما كانت عليه قبل منتصف الثمانينات حيث ثبت دعائمها في خريطة هيكلية الحكم. هو صاحب نظرية وليس مطلق شعارات.

منذ عام 1992 الى اليوم هو في البرلمان "بائع الامل" في بلد لا يخرج من ازمة حتى يقع في اخرى.

رئيسا لـ4 دورات وتمديد لـ3 مرات

انتخب رئيسا لمجلس النواب في خمس دورات، وتم التمديد للولاية الاخيرة ثلاث مرات.

- الاولى في 20 تشرين الاول 1992. نال 105 اصوات من اصل 124.
- الثانية في 22 تشرين الاول 1996. نال 122 صوتا من اصل 126.
- الثالثة في 17 تشرين الاول 2000. نال 124صوتا من اصل 126.
- الرابعة في 28 حزيران 2005. نال 90 صوتا من اصل 128.
- الخامسة في 25 حزيران 2009. نال 90 صوتا من اصل 127.

يترأس "كتلة التنمية والتحرير" النيابية وفاز اعضاؤها جميعا في الدورات الخمس:

1992: 22 نائبا.
1996: 20 نائبا.
2000: 15 نائبا.
2009: 13 نائبا.

رئيسا للاتحاد البرلماني العربي.

- انتخب رئيسا للاتحاد في 3 حزيران 2003 لمدة عامين، وتسلم الرئاسة في الاول من آذار 2004.
- انتخب مجددا في 17 تشرين الاول 2015 في الدورة الاستثنائية لمؤتمر الاتحاد في مركز المؤتمرات الدولية في جنيف، وتسلم رئاسته في بيروت في 11 آذار 2016 حتى 20 آذار 2017.
- انتخب رئيسا لمجلس اتحاد مجالس الاعضاء في منظمة المؤتمر الاسلامي في دكار (السنغال) في 9 آذار 2004 الى 9 آذار 2006.
- يرأس منذ عام 1993 اتحاد البرلمانيين المتحدرين من اصل لبناني الذي يضم 156 نائبا وسيناتورا.
- يرأس منذ عام 1999 اللجنة البرلمانية العربية لكشف الجرائم الاسرائيلية ضد المدنيين العرب.